الشرق الأوسط
جريدة العرب الدولية

المؤلف الحقيقي لكتاب تراثي عن فن الحيلة

جليل العطية

الخميس 09 جمادى الاولى 1421 هـ 10 اغسطس 2000 العدد 7926
جريدة الشرق الاوسط
الصفحة: فضاءات

الحيلة والاحتيال: الحذق. ورجل حول: شديد الاحتيال. هكذا تقول معجمات اللغة. ويقول مؤلف «رقائق الحلل في دقائق الحيل»:

«ان الحيلة ثمرة العقل ومستخرجة بقوانينه وطرقه، في استخراجها غوامض العلوم ومحاسن الفنون المختلفة الاصول والمنافع.. وينبغي للعاقل ان يعرف طرق الحيل وكيف يستعملها ويعلم من اين دخلت عليه حيلة من الحيل وكيف الخروج».

ـ وعلم الحيل الشرعية: باب من أبواب الفقه، وقد صنّفت فيه كتب أشهرها كتاب الحيل للخصاف (أحمد بن عمر) المتوفى سنة 361هـ ـ 874م (مطبوع في هانفور والقاهرة وبغداد).

وثمة حيل اخرى تعتمد طرق السحر وما شابهها وقد وضحت فيها كتب أشهرها: المختار في كشف الاسرار وهتك الاستار للجوبري (من أهل القرن السابع الهجري ـ الثالث عشر الميلادي ـ «مطبوع في دمشق وبيروت».

ـ وهناك حيل تعتمد الذكاء وضعت فيها كتب بينها:

«المكايد والحيل» للمدائني، «الهفوات النادرة» للأصمعي، «ولطف التدبير» للخطيب الاسكافي (مطبوع).

وهذه الكتب كانت من مصادر مؤلف (رقائق الحلل في دقائق الحيل) الذي ذكر في مقدمته اسماء نحو 127 كتاباً قال انه استعان بها في تأليف كتابه الذي اهداه إلى الامير (سعد الدين سنبل بن عبد اللّه الملكي (؟) البدري).

وهو شخص لا نعرف اين عاش ومن حكم ومتى توفي اذ لم يذكر محقق الكتاب اي شيء عنه.

أبواب الكتاب:

يتكون الكتاب من عشرين بابا هي:

الباب الأول: في ذكر العقل وفضله الباب الثاني: في الحث على الحيل واستعمالها الباب الثالث: في حكمة اللّه ولطفه وحسن تدبيره بعباده الباب الرابع: في حيل الملائكة والجن الباب الخامس: في حيل الانبياء الباب السادس: في حيل الخلفاء والملوك والسلاطين الباب السابع: في حيل الوزراء والعمال والمتصرفين الباب الثامن: في حيل القضاة والعدول والوكلاء الباب التاسع: في حيل الفقهاء الباب العاشر: في حيل العبّاد والمتعبدين والمتزهدين الباب الحادي عشر: في حيل القواد والامراء واصحاب الشرط الباب الثاني عشر: في حيل الاطباء الباب الثالث عشر: في حيل الشعراء الباب الرابع عشر: في حيل التجار والسوقة الباب الخامس عشر: في حيل بني ساسان وهم الطُرقية الباب السادس عشر: في حيل اللصوص والعيارين الباب السابع عشر: في حيل النساء والصبيان الباب الثامن عشر: في حيل الحيوان الباب التاسع عشر: فيمن احتال وانعكست عليه حيلته الباب العشرون: في نوادر الابواب غير ان الكتاب المطبوع لا يشمل الاّ الابواب العشرة الاولى منها التي يضمها المخطوط الموجود في المكتبة الوطنية في باريس، والذي استند اليه المحقق في نشر الكتاب.

نموذج عن الكتاب ولمعرفة اسلوب المؤلف نقدم ادناه نموذجاً له:

خرج السلطان محمود سبكتكين صاحب «غزنة» يوماً متصيداً وكان وزيره (الكوفي) ذا رأي وبصيرة وهو معه في نفر، فقابله اعداء له في جمع ـ وكان قد اخذ منهم بلاداً ـ فعرفوا الوزير ولم يعرفوا السلطان. فاحاطوا به وبمن معه.

وقالوا للوزير:

ـ أنت في قبضتنا! وتوعدوه بالقتل. قال لهم: ما ينفعكم قتلي؟ انما ينفعكم عود بلادكم، فأصغوا إلى قوله.

وقال: أنا ارسل اليه! وأومأ إلى بعض من كان معه، فقال له:

ـ امض إلى الملك وقل له ما رأيت وسمعت! واعطاه علامة.

ـ فلما بعد عنه نفذ خلفه آخر وقال له:

ـ ما انت ممن لك معرفة.

ثم أومأ إلى الملك وقال له:

ـ انت رجل عاقل امض أنت وقل للملك كذا وكذا وأكد عليه وانفصل عنهم.

فلما علم ان الملك صار في مأمنه، عرّفهم حينئذ مقاله، وان الذي انقذه هو الملك وقد خلّصه من قبضتهم فسقط في ايديهم، وتوصل الوزير إلى ان خلص منهم وسلم الملك والوزير.

الترجمة والنشر «رقائق الحلل في دقائق الحيل» نشر أولاً باللغة الفرنسية سنة 1976م في باريس وتولى ترجمته (رينه خوام) وهو باحث ومترجم سوري الاصل يقيم في فرنسا منذ عدة عقود من الزمن وله مساهمات مشكورة في ترجمة العديد من النصوص التراثية العربية والاسلامية، ومن آثاره ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية.

وفي عام 1988م اصدرت دار الساقي في لندن «رقائق الحلل في دقائق الحيل» تحت عنوان اكبر هو: السياسة والحيلة عند العرب موشحاً بعبارة: تحقيق (رينه خوام) في مجلد انيق قوامه 235 صفحة.

ويبدو ان الكتاب نال الرواج فأعيد طبعه بعد ذلك مرتين آخرها ـ الثالثة ـ مزيناً بعبارة:

ـ راجعته (د. نازك سابا يارد).

كتاب «رقائق الحلل» هو التجربة الأولى للمترجم الباحث (خوام). فهل نجح في مهمته كمحقق؟

ـ المؤسف ان الجواب سيكون: كلا.. مكررة.

لقد اضحى تحقيق المخطوطات اليوم علماً قائماً بذاته، يدّرس في الجامعات والمعاهد. وثمة كتب عديدة وضعها علماء مشهود لهم بالباع الطويل والتجربة العميقة في هذا المجال، اضافة إلى معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية الذي وضع كتيباً سماه «قواعد تحقيق المخطوطات العربية» رسم فيه الشروط التي ينبغي ان تتوفر في المحقق والنص المطلوب تحقيقه والقواعد التي تؤدي إلى نجاح التحقيق.

فماذا فعل خوام؟

باختصار شديد:

1 ـ نسخ المخطوطة بكل ما يحمله من أخطاء املائية ونحوية وغيرهما.

2 ـ لم يصنع هوامش تساهم في اضاءة النصوص، بل اكتفى بهوامش هزيلة وضعها للتعريف بالخلفاء والملوك والامراء ممن لا يحتاجون إلى تعريف وترك عشرات الاسماء التي تحتاج إلى مراجعة وتعريف وجهد! 3 ـ لم يضع للكتاب فهارس تعين الباحث والقارئ.

4 ـ وضع مقدمة صغيرة قاصرة مشحونة بالاخطاء والتناقضات.

5 ـ لم يبذل جهداً ـ ولو بسيطاً ـ لمعرفة المؤلف وعصره والامير الذي الّف له الكتاب.

6 ـ لم يعن بالبحث عن مخطوطات الكتاب الاخرى المتوفرة ـ خارج باريس.

7 ـ لم يثبت نموذجاً للمخطوط الوحيد الذي اعتمده في تحقيق النص.

يقول المحقق في مقدمته:

«والآن نجد انفسنا مطالبين بكلام سريع عن النص وكاتبه، فنذكر ان النص يحمل عنواناً لا يخلو من شاعرية وسجع على نحو ما كانت عليه عناوين الكتب قديماً. اذ يقول العنوان «رقائق الحلل في دقائق الحيل» وهو عبارة عن مخطوطة مكونة من 152 ورقة يعود استنساخها إلى عام 1651 وهي من الموجودات القديمة للمكتبة الوطنية في باريس وتحمل رقم MSS.N3548. ولا نغالي اذا قلنا انها في حالة سيئة بسبب صعوبة كتابتها وللتداخل الحاصل بين اوراقها ومقاطعها. وان كانت هذه صعوبات تغلبنا عليها بصبر واناة».

ونمضي إلى نهاية المقدمة فلا نجد شيئاً عن المؤلف! المؤلف وأسلوبه اعترف انني قرأت الكتاب غير مرة ـ ولا اريد ان اشغل القارئ الكريم بالتصحيحات والتصويبات التي اجريتها في معظم صفحات الكتاب ـ وتعود عنايتي به لاسباب منها اهتمامي بالكتب التي وصلت الينا خالية من اسماء مؤلفيها ولأهمية النص من جهة، إذ حفظ لنا المؤلف نصوصاً من كتب مفقودة ـ مجهولة اليوم ـ على انني حاولت معرفة اسم مؤلف الكتاب، والعثور على نسخ أخرى من مخطوطة الكتاب.

لم اجد صعوبة كبيرة في معرفة اسم مؤلف الكتاب فلقد جاء في «طبقات الشيعة» و«الحقائق الراهنة في اعيان المائة الثامنة» ضمن مؤلفات العتائقي (باختلاف يسير): اختيار حقائق الحلل ودقائق الحيل.

والعتائقي: عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم من علماء الحلة في العراق ولد وتعلم فيها ومال إلى الفلسفة والتاريخ. ساح في فارس وغيرها وأقام مدة طويلة في اصبهان ثم رحل إلى النجف.

نسبته إلى العتائق (من قرى الحلة). له مصنفات كثيرة منها نحو ثلاثين كتاباً مخطوطاً في خزانة المشهد الغروي في النجف توفي نحو 1388، ومن مؤلفاته:

شرح نهج البلاغة ـ في مجلدات، الاضداد في اللغة، وكتاب الاعمار.

اما مخطوطات الكتاب فلقد وفقت في العثور على ذكر لمخطوطتين جديدتين:

1 ـ مخطوطة تامة بخط المؤلف موجودة في المكتبة الغروية في النجف.

2 ـ مخطوطة ناقصة موجودة في مكتبة برلين رقمها SPR.1194.8493. وفي ضوء هذه المعلومات ننتظر «ان تنهض دار «الساقي» باصدار طبعة جديدة من «رقائق الحلل في دقائق الحيل» تعيد لهذا الكتاب المهم والطريف مكانته وترفع عن مؤلفه ما اصابه من تعتيم وتشويه.